الادب المصري القديم

أدب المديـــــح

ترك لنا المصريون القدماء نوعاً من الأدب يمكن أن نسميه "أدب المديح"، وامتاز هذا النوع من الأدب بأسلوبه الشعرى الذى يجعله أقرب إلى النظم منه إلى الشعر، وخير مثال لذلك القصيدة التى صور فيها الشاعر الملك "**سنوسرت الثالث**" وقوته الخارقة، فشبهه بالسد الذى يمنع النهر من ثورة فيضانه، وبالظل الواقى الذى ينعش أيام الصيف، وبالركن الدافئ أيام الشتاء، وبالجبل الذى تتقى به العواصف يوم تثور السماء.

ولا غرابة فى أن أدب المديح ما زال موجوداً فى كل زمان ومكان لما يلاقيه هذا النوع من الأدب من قبول واستحسان لدى الملوك والحكام، ولما ينال صاحبه أو قائله من جراء هذا المديح.

وقد جرت العادة أن يذكر فى مديح الملك صفاته العسكرية وشجاعته الخارقة للعادة وهذا ما نجده فى مدائح المتنبى وأبى تمام والبحترى وغيرهم ممن يبالغون فى صفات الممدوح حتى يجعلوه فى مرتبة أخرى غير مرتبة البشر، وهذا بجانب ذكر أعمال الملك العظيمة لشعبه وحماية الوطن، وما يقدمه له الإله من المساعدة فى الأوقات العصيبة بوصفه ابنه الذى يحنو عليه.

وسوف نأخذ مثالين لهذا النوع من الأدب وهما:

١ – مديح الملك سنوسرت الثالث **٢ – مديح الملك تحتمس الثالث**

١ – مديح الملك سنوسرت الثالث

كان سنوسرت الثالث أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة (الدولة الوسطى)، ويعد من أعظم من تولى عرش مصر فى تلك الفترة، وكان محارباً قوياً شجاعاً امتدت الإمبراطورية المصرية فى عهده حتى النوبة وأقام الحصون والقلاع هناك، وعثر على الإنشودة التى شملت مديح الملك سنوسرت الثالث بالقرب من الفيوم، وتتكون تلك الإنشودة من ست مقطوعات جاءت كالتالى:

ففى المقطوعة الأولى يمدح الشاعر الملك سنوسرت الثالث قائلاً:

"لك الحمد يا "خع كاو رع" يا "حور" أيها الصقر المقدس".

"الذى يحمى الأرض ويمد حدودها"

"الذى يقهر البلاد الأجنبية"

"الذى يضم الأرضين (مصر) بين ذراعيه"

"الذى يذبح رماة السهام من غير ضربة عصا"

Activate Windows

"الذى يقوى سهمه دون أن يشد خيط القوس"

"الذى أمات سكينه الألوف من رماة السهام قبل أن تطأ أقدامهم حدوده"

"الذى قهر الآلاف ممن لا يعرفون بطشه"

"إن كلمة من جلالته لتخضع أهل النوبة"

"أنت الواحد الفريد، ذو القوة الفتية، الذى يزود عن حدوده"

"أنت من لا يجعل شعبه يدب فيه الوهن"

"أنت جاعل الناس ينامون فى أمان حتى طلوع الفجر"

"وشباب جنوده ينامون لأن قلبه هو المدافع عنهم"

وفى المقطوعة الثانية يذكر الشاعر فرح البلاد بملكها قائلاً:

"ما أعظم أفراح بلدك لأنك ثبت حدوده"

"ما أعظم فرح أبائك لأنك زدت فى عطائهم"

"ما أعظم فرح مصر بك وبقوتك لأنك حميت النظام القديم"

"ما أعظم فرح شعبك بحكومتك لأنك قضيت على السلب"

"ما أعظم سعادة جنودك لأنك أسعدتهم"

"ما أعظم سعادة شيوخ قومك لأنك جددت شبابهم"

"ما أعظم سعادة مصر بقوتك لأنك حميت أسوارها"

وفى المقطوعة الثالثة يذكر الشاعر سنوسرت الثالث بكثير من صفاته بأسلوب المبالغة قائلاً:

"ما أعظم سيد وطنه، هو يعدل آلاف الألوف ما هم بالنسبة إليه إلا قليل"

"ما أعظم سيد وطنه، فهو سد حاجز للنهر ليمنع الفيضان"

"ما أعظم سيد وطنه، فهو الحمى الذى يلجأ إليه اللاجئ ولن يصل إليه عدوه"

"ما أعظم سيد وطنه، ظل ظليل منعش فى الصيف"

"ما أعظم سيد وطنه، فهو ركن دافئ وجاف فى وقت الشتاء"

"ما أعظم سيدي وطنه، فهو الجبل الذى يمنع العواصف يوم أن تثور السماء"

Activate Wi

"ما أعظم سيد وطنه، فهو شديد مثل سخمت (إلهة القوة والحرب) على من تطأ أقدامهم حدوده"

ثم يستمر الشاعر فى المقطوعة الرابعة واصفاً صفات الملك سنوسرت الثالث قائلاً:

"جاءنا فولى أمر الصعيد، ووضع التاج المزدوج على رأسه"

"جاءنا فوحد الأرضين"

"جاءنا وجعل الأرض السوداء تحت سلطانه وضم الأرض الحمراء"

"الأرض الزراعية والصحراء"

"جاءنا فحمى الأرضين (الصعيد والدلتا) ومنحهما السلام"

"جاءنا فأحيا أهل مصر ومحا آلامهم"

"جاءنا فمد الحياة للناس، وجعلهم يتنفسون"

Activate Windows

"جاءنا وأحتِرم المسن (الشيخ) بما جلبت إلينا قوته"

"جاءنا فأعاننا على تربية أبناءنا، ودفن المسنين منا"

وفى المقطوعة الخامسة يذكر الشاعر علاقة سنوسرت الثالث بالآلهة قائلاً:

"أنت تحب "خع– كاو – رع" الذى يعيش إلى أبد الآبدين"

"هو يعطيك الغذاء"

"أنت راعينا الذى يمنح النفس"

"أنت تجزيه عليها فى سعادة وفى مرات يخطئها العدد"

وتنتهى قصيدة المديح بالمقطوعة السادسة التى جاء فيها:

"ثناء "لخع كاو رع" الذى يعيش إلى أبد الأبدين"

Activate Wind

لم تظهر هذه القصيدة فى مدح الملك سنوسرت الثالث النتيجة التى أرادها منظمها وقائلها من هذا المديح، حيث لم تذكر صراحة ما جناه من تلك القصيدة، ولكن لنا أن نتصور أنه مثل كل الشعراء فى كل زمان ومكان يفوزون بنصيب الأسد من هبات وهدايا الملك من جراء هذا المديح الذى يروق لقلب الملك أو الحاكم.

٢ – مديح الملك تحوتمس الثالث

وجدت هذه القصيدة على لوحة بمعبد الكرنك بطيبة الشرقية وهى محفوظ الآن بمتحف القاهرة، وتحتوى على مديح وجهه الإله آمون رع نفسه لابنه الملك "تحوتمس الثالث" والذى كان يدخل المعبد منتصراً بعد كل غزوة مظفرة.

Activate Winc

وتشتمل القصيدة على مقدمة وخاتمة مكتوبتين بلغة شعرية وأما الجزء الأوسط من القصيدة فإنه شعر مقفى.

ونظراً لأهمية هذه القصيدة فقد اتخذها مثالاً ثلاثة من ملوك الدولة الحديثة وهم "أمنحتب الثالث" و "سيتى الأول" و "رعمسيس الثانى".

تقول القصيدة:

" يقول آمون رع، رب العروش فى الأرضين، تعال إلى لتحظى بنورى، أى بنى ونصيرى (من–خبر– رع) "تحوتمس الثالث" الباقى أبداً، أننى أشرق من أجل حبك، إن قلبى ينشرح بمجيئك إلى معبدى ويداى تمنحاك الحماية والحياة، ما أرق الشفقة التى تظهرها نحوى، ولهذا سأثبتك فى معبدى وأمنحك الخير كله ".

Activate Win

" لقد رزقتك القوة والنصر على أمم الأرض جميعاً وبسطت سلطانك ورهبتك فى كل بلد، وجعلت الرعب منك يمتد حتى عمد السماء الأربعة، ووضعت احترامك فى كل جسد، نداؤك الحربى يمتد بين أقوام الأقواس التسعة، وجمعت أمراء الأرضين جميعاً فى قبضة يمينك، ومددت يدى فقيدتهم جميعاً، صعدت لك الألوف وعشرات الألوف من عصاة الجنوب (أهل القوس)، ثم مئات الألوف من أهل الشمال، وطرحت أعداءك تحت قدميك، لتهلك منهم العصاه والثائرين، حتى دان لك أهل المشرق والمغرب فى طول البلاد وعرضها، تستطيع أن تضرب فيها مغتبط القلب حيث تشاء، دون أن تجد فى ربوعها من يعصيك ".

أدب الملاحـــــم

عرف المصريون القدماء نوعاً آخر من الأدب أُطلق عليه "أدب الملاحم"، وقد ظهر هذا النوع من الأدب فى فترة عصر الدولة الحديثة، وخاصة عصر الأسرة التاسعة عشرة التى أخذ ملوكها فى الحفاظ على الإمبراطورية المصرية فى آسيا فى وقت أخذ بعض حكام تلك البلاد يتطلعون إلى الانفصال عن مصر، بل وأخذ الحيثيون يدخلون فى نزاع عسكرى مباشر مع مصر مما جعل ملوك الأسرة التاسعة يقومون بحملات عسكرية كثيرة للقضاء عليهم، فقد قام الملك سيتى الأول بحملات ثلاث فى فلسطين وسورية نجح فى أن يمد حدود الإمبراطورية المصرية ويثبت هيبة النفوذ المصرى فيها وأن يهزم الجيش الحيثى.

وقد خلف رمسيس الثانى اباه سيتى الاول على عرش مصر، وفى عصره بدأ الصراع العسكرى الكبير بين مصر والحيثيين وفى العام الخامس من حكم هذا الملك حدثت معركة قادش، حيث كتب فيها النصر لرمسيس الثانى بعد أن تعرض لكمين كاد أن يقضى عليه وعلى جيشه، وقد وصف شاعر الملك رمسيس الثانى موقف الملك فى محنته الكبرى عندما أحاطت به قوات العدو، فأخذ يستغيث بأبيه الإله "آمون" ويطلب منه العون ولما تأخرت معونته أخذ يناجيه معاتباً إياه عتاباً يصور ما فى نفسه.

ملحمة معركة قادش

سجل الملك رمسيس الثانى أخبار نصره على الحيثيين فى ملحمة شعرية رائعة جعلته من أبطال المعارك، وقد نسبت الملحمة خطأ إلى كاتبها "بنتاؤر" الذى لم يفعل شيئاً سوى تدوينها (من الأصل)، ولهذا فشاعر

الملحمة الأصلى ما زال مجهولا حتى الآن. هذا وقد سجلت أخبار معركة قادش هذه على واجهات وجدران المعابد منها معبد الأقصر ومعبد الكرنك، ومعبد أبيدوس ومعبد الرمسيوم كما رسمت المعركة بتفصيلاتها داخل معبد أبو سمبل الكبير.

سجل شاعر الملك رمسيس الثانى أخبار معركة قادش فى ملحمة شعرية رائعة، أشاد فيها بشجاعة الملك وقوته، وبطولته الفذة، ثم صبره وحسن بلائه وقت الشدة، وكيف أنه اندفع فى صفوف العدو حتى إذا ما توسطها، أحاطت به عجلات الحرب، يعلوها الرجال، فأخذ الملك يقاتلهم وحده بكل شجاعة غير مبالٍ بما يحدث له، وتستمر الملحمة فى وصف المعركة وحالة الملك رمسيس الثانى فى محنته هذه، وأنه أخذ يستغيث بأبيه "آمون" ويطلب منه العون. ويستجيب الإله آمون إلى دعوات ابنه رمسيس ويسمع الملك صوت آمون آمراً إياه وقائلاً:

Activate Windows
Go to Settings to activate Win

"تقدم يا بنى فإنى معك، فأنا أبوك وأنى لأكثر نفعاً لك من فئات الألوف من الرجال، أنا رب النصر الذى يحب الشجاعة".

وبعد ذلك يصف الشاعر الملك بأنه أحس أن ربه آمون يدفعه إلى القتال، فيهجم على جماعات كثيرة من الأعداء ويبدى شجاعة خارقة ويستطيع أن ينقذ نفسه من هذا المأزق الخطير الذى وضعه فيه ملك الحيثيين وجنده عندما أحاطوا به من كل جانب فى وقت تفرق عنه جنوده وتركوه وحيداً فى أرض القتال، ويذكر رمسيس أنه قابل هذا الموقف العصيب بحزم وقوة، ثم التفت إلى جنوده وأمرهم أن يتصفوا بالشجاعة وأن يثبتوا فى أماكنهم وأن يحذوا حذوه بل يلومهم على تفرقهم من حوله قائلاً "ما أشد تخاذل قلوبكم يا فرسانى، وأنه لمن العبث الاعتماد عليكم"، ثم أطال الشاعر

Activate Windo

فى توبيخ الملك لجنوده، وأخذ يذكر ما أسداه لهم من معروف وأعمال الخير، وكذلك ذكر لهم ما قام به تجاه الإله آمون من خدمات وما قدمه له من قرابين. وبعد أن تم النصر للملك هرعت إليه جنوده فى معسكره، وأخذوا يفاخرون بشجاعته، على أن الملك لم ينخدع بذلك وأخذ يوبخهم مرة ثانية ويذكرهم بما قام به من أعمال وخدمات داخل البلاد أثناء السلم.

من ملحمة معركة قادش هذه نلحظ أن الشاعر أراد أن يرسم لنا حوادث معينة فى صورة ملحمة لم تقتصر فى صياغتها على الأسلوب الخلاب والألفاظ العذبة، بل رأى أن من واجبه أن يقص علينا جزاءً من الحقيقة التى حدثت فى أرض المعركة، ورأى أنه يجب أن يضع بجانب هذه الحقيقة بعضاً من الخيال، كذلك أظهرت تلك الملحمة أن شاعرها لديه المهارة الفنية فى صياغتها وترتيب حوادثها، وأظهر كذلك بطلها أعظم من كل

Activate Win

الأبطال الآخرين الذين حوله فى أرض المعركة، لذلك جاءت تلك الملحمة متماسكة الأطراف، محبوكة، سهلة الألفاظ، وجعل الشاعر الملك رمسيس الثانى بطل هذه الملحمة يظهر فى صورة ضخمة أظهرته كأنه عملاق وسط أقزام. كذلك أظهرت تلك الملحمة عنصر المبالغة وهذا مباح فى وصف المعارك، وفى التقارير الحربية التى ترفع من شأن الملوك والحكام، وتحث على الوطنية والدفاع عن الوطن لدى أفراد الشعب، وبعبارة أخرى ربما أراد الشاعر من تمجيد الملك رمسيس الثانى أن يجعله قدوة ومثالاً يُحتذى به سواء من قبل الملوك الذين سوف يأتون من بعده وأن يكونوا فى مقدمة المدافعين عن الوطن وأن يضحوا بأنفسهم فى سبيل ذلك، أو من قبل الجنود والرعية فى عدم ترك أرض المعركة والدفاع كذلك عن بلادهم بكل غال ونفيس.

Activate Win
Go to Settings

قائمة المراجع و هي متاحة online

- محرم كمال : الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، القاهرة، ١٩٦٢.
- **أحمد فخرى** : الأدب المصرى القديم، تاريخ الحضارة المصرية، العصر الفرعونى، القاهرة، ١٩٦٢.
- **سليم حسن** : الأدب المصرى القديم، جزءان، القاهرة، ١٩٩٠.
- **كلير لالويت** : الأدب المصرى القديم، ترجمة ماهر جويجاتى، مراجعة طاهر عبد الكريم، القاهرة، ١٩٩٣.
- ---------- : نصوص مقدسة ونصوص دينية من مصر القديمة، مجلدان، ترجمة ماهر جويجاتى، القاهرة،١٩٩٦.

- احمد محمد البربري، محمد ابراهيم علي: الادب المصري القديم، القاهرة، ٢٠٠٥.